المادة: تاريخ العرب قبل الاسلام

مدرس المادة: م. د. خالد تركي عليوي فريح النداوي

المرحلة: الاولى/قسم التاريخ/ كلية التربية الاساسية/ جامعة ديالى

العام الدراسي:٢٠١٥م/٢٠١٦م/ الكورس الاول/المحاضرة الثانية.

عنوان المحاضرة: موارد دراسة تاريخ العرب قبل الاسلام(الكتب الكلاسيكية والنصرانية).

الكتب الكلاسيكية:

وأقصد بالكتب "الكلاسيكية" الكتب اليونانية واللاتينية المؤلفة قبل الإسلام ولهذه الكتب –على ما فيها من خطأ– أهمية كبيرة؛ لأنها وردت فيها أخبار تاريخية وجغرافية كبيرة الخطورة، ووردت فيها أسماء قبائل عربية كثيرة لولاها لم نعرف عنها شيئًا. وقد استقى مؤلفوها وأصحابها معارفهم من الرجال الذين اشتركوا في الحملات التي أرسلها اليونان أو الرومان إلى بلاد العرب، ومن السياح الذين اختلطوا بقبائل بلاد العرب أو أقاموا مدة بين ظهرانيهم، ولا سيما في بلاد الأنباط، ومن التجار وأصحاب السفن الذين كانوا يتوغلون في البحار وفي بلاد العرب للمتاجرة، وتعد الإسكندرية من أهم المراكز التي كانت تعنى عناية خاصة بجمع الأخبار عن بلاد العرب وعادات سكانها وما ينتج فيها لتقديمها إلى من يرغب فيها من تجار البحر المتوسط. وقد استقى كثير من الكتّاب "الكلاسيكيين" معارفهم عن بلاد العرب من هذه المصارد التجارية العالمية.

وتتحدث الكتب الكلاسيكية جازمةً عن وجود علاقات قديمة كانت بين سواحل بلاد العرب وبلاد اليونان والرومان، وتتجاوز بعض هذه الكتب هذه الحدود فتتحدث عن نظرية قديمة كانت شائعة بين اليونان، وهي وجود أصل دموي مشترك بين بعض القبائل العربية واليونان. وتفصح هذه النظرية، على ما يبدو منها من سذاجة، على العلاقات العريقة في القِدَم التي كانت تربط سكانالبحر المتوسط الشماليين بسكان الجزيرة العربية .

ومن أقدم من ذكر العرب من اليونانيين "أخيلس" "٤٥٦ –٥٢٥" "aescylus ق. م"، و "هيرودتس" "٤٨٠– ٤٢٥ ق. م" وقد زار مصر، وتتبع شئون الشرق وأخباره بالمشاهدة والسماع،

ودوّن ما سمعه، ووصف ما شاهده في كتاب تاريخي. وهو أول أوروبي ألّف كتابًا بأسلوب منمق مبوب في التاريخ ووصل مؤلفه إلينا، وقد لقبه "شيشرون" "Cicero" الشهير بلقب "أبي التأريخ".

تناول "هيرودتس" تاريخ الصراع بين اليونان والفرس، وإن شئت فسمه "النزاع الأوروبي الآسيوي"؛ فألف عن تاريخه. والظاهر أنه لم يتمكن من إتمامه؛ ففيه فصول وضعت بعد وفاته. وهو أول كاتب يوناني اتخذ من الماضي موضوعًا للحاضر ومادة للمناقشة، بعد أن كان البحث في أخبار الأيام السالفة مقصورًا على ذكر الأساطير والقصص الشعبية والدينية. وهو مع حرصه على النقد والمحاكمة، لم يتمكن أن يكون بنجوة من الأفكار الساذجة التي كانت تغلب على ذلك العالم الابتدائي في ذلك العهد، فحشر في كتابه قصصًا ساذجًا وحكايات لا يصدقها العقل، متأثرًا بعقلية زمانه في التصديق بأمثال هذه الأمور.

ومنهم "ثيوفراستوس" "Theophrastus"، "حوالي ٣٧١– ٢٨٧ ق. م"، مؤلف كتاب " historia plantarum" وكتاب "de causis plantarum" وفي خلال حديثه عن النبات تطرّق إلى ذكر البقاع العربية التي كانت تنمو بها مختلف الأشجار، ولا سيما المناطق الجنوبية التي كانت تصدر التمر واللبان والبخور والأفاويه، و "إيراتو ستينس" "١٩٤ –٢٧٦" "eratosthenes ق. م". وقد استفاد الكتّاب اليونانيون الذين جاءوا من بعده من كتاباته، ونجد في مواضع مختلفة من جغرافية "سترابون أقوالًا معزوّة إليه ".

ونضيف إلى من تقدموا "ديودورس الصقلي" ٤٠" "diodorus siculusق. م". وقد ألف باللغة اليونانية تاريخًا عامًا سماه "المكتبة التأريخية" bibliotheke historike، تناول تاريخ العالم من عصر الأساطير حتى فتح "يوليوس قيصر" لإقليم "الغال". وهو في أربعين جزءًا، لم يبقَ منها سوى خمسة عشر جزءًا، تبحث في الحقبة المهمة التي تبتدئ بسنة ٤٨٠ ق. م. وتنتهي بسنة ٣٢٣ ق. م١. ويعوز هذا المؤرخ النقد؛ لأنه جمع في كتابه كل ما وجده في الكتب القديمة من أخبار ولم يمحصها، وقد امتلأ كتابه بالأساطير، والعالم مع ذلك مدين له إلى حد كبير بمعرفة أخبار الماضين؛ ولا سيما الأساطير الدينية القديمة.

ومن المؤلفين الكلاسيكيين، "سترابون" "سترابو" "٦٤" "strabo" "straabonق. م– ١٩ م" وهو رحالة كتب كتابًا مهما باللغة اليونانية في سبعة عشر جزءًا سماه "جغرافيا"٢ "geographica". وقد وصف فيه الأحوال الجغرافية الطبيعية لمقاطعات الإمبراطورية الرومانية الرئيسية، وتاريخها، وحالات

سكانها، وغريب عهاداتهم وعقائدهم. وللكتاب شأن كبير؛ إذا اشتمل على كثير من الأخبار التي لا تتيسر في كتاب آخر. وقد اعتمد فيه على ما ذكره الكتّاب السابقون.

وقد أفرد "سترابون" في جغرافيته فصلًا خاصًا من الكتاب السادس عشر ببلاد العرب، ذكر فيه مدائن العرب وقبائلهم في عهده، ووصف أحوالهم التجارية والاجتماعية والاقتصادية، وحملة "أوليوس غالوس" "أوليوس كالوس" "aelius gallus" المعروفة لفتح بلاد العرب وما كان من إخفاقه. ولأخبار هذه الحملة التي دوّنها "سترابوان" في جغرافيته، أهيمة خاصة؛ إذ جاءت بمعلومات عن نواحي من تأريخ العرب نجهلها، وقد شارك هو نفسه في الحملة، وقد كان صديقًا لقائدها؛ فوصفه وصف شاهد عيان٣. وقد استهل وصف الحملة بهذه العبارة: "لقد علمتنا الحملة التي قام بها الرومان على بلاد العرب بقيادة أوليوس غالوس في أيامنا هذه أشياء كثيرة عن تلك البلاد، وممن تحدث عن العرب "بلينيوس" "بليني الأقدم" "galus plinius secundus" "pliny the elder" المتوفى سنة ٧٩م، ومن كتبه المهمة كتابه "التأريخ الطبيعي" "naturalis historia" في سبعة وثلاثين قسمًا، وقد نقل في كتابه عمن تقدمه، ولا سيما معلوماته عن بلاد العرب والشرق وجميع ما أمكنه جمعه؛ غير أنه أتى في أماكن متعددة من كتابه بأخبار لم يرد لها ذكر من كتب المؤرخين الآخرين .

وهناك مؤلف يوناني مجهول، وضع كتابًا سماه "الطواف حول بحر الأريتريا"٣ " The Periplus of the Erythraean Sea" "Periplus Maris Erythraei" أتمه في نهاية القرن الأول للمسيح في رأي بعض العلماء، أو بعد ذلك في حوالي النصف الأول من القرن الثالث للميلاد في رأي بعض آخر٤. وقد وصف فيه تطوافه في البحر الأحمر وسواحل البلاد العربية الجنوبية. والظاهر أنه كان علامًا بأحوال الهند وشواطئ إفريقية الشرقية، ولعله كان تاجرًا من التجار الذين كانوا يطوفون في هذه الأنحاء للاتجار، ولم يعتنِ إلا بأحوال السواحل. أما الأقسام الداخلية من جزيرة العرب، فيظهر أنه لم يكن ملمًا بها إلمامًا كافيًا.

وقد ذهب "إلبرايت" إلى أن الكتاب المذكور قد ألف في حوالي السنة "٨٠" بعد الميلاد . وذهب آخرون إلى أن مؤلفه قد ألفه في حوالي السنة "٢٢٥" أو "٢١٠" بعد الميلاد ،وهناك طائفة من الكتاب الذين تركوا لنا آثارًا وردت فيها إشارات إلى العرب والبلاد العربية، مثل "أبولودورس" "apollodorus" "المتوفى سنة ١٤٠ بعد المسيح". و "بطلميوس" "claudius ptolemaes" الذي عاش في الإسكندرية في القرن الثاني للمسيح. وهو صاحب مؤلفات في الرياضيات منها "كتاب المجسطي" المعروف في اللغة العربية. وله كتاب مهم في الجغرافية سمّاه " geographike

hyphegesisi" ويعرف باسم "جغرافية بطلميوس" ، ولهذا الكتاب شهرة واسعة، وقد درَّس في أكثر من مدارس العالم إلى ما بعد انتهاء القرون الوسطى. جمع فيه بطلميوس ما عرفه العلماء اليونان وما سمعه هو بنفسه وما شاهده هو بعينه، وقسم الأقاليم بحسب درجات الطول والعرض. وقد تكلم في كتابه على مدن البلاد العربية وقبائلها وأحوالها، وزيّن الكتاب بالخارطات التي تصور وجهة نظر العلم إلى العالم في ذلك العهد ،ويرى بعض الباحثين أن ما ذكره "بطلميوس" عن حضرموت يشير إلى أن المنبع الذي أخذ منه كان يعلم شيئًا عنها، وأنه كان قد أقام مدة في "شبوة" العاصمة. ويرون أن ذلك المنبع قد يكون تاجرًا روميًّا، أو أحد المبعوثين الرومان في تلك المدينة؛ لأن وصف "بطلميوس" للأودية، والأماكن الحضرمية يشير إلى وجود معرفة بالأماكن عند صاحبه. أما ما ذكره "بطلميوس" عن أرض "سبأ" والسبئيين؛ فإنه لا يدل، على حد قول المذكورين على علم بالأماكن، وإجادة لأسمائها، وأن الذي أخذ منه "بطلميوس" لم يكن قد شاهدها .

ومن الذين أوردوا شيئًا عن أحوال بلاد العرب "أريان" " ٩٥- "flavius arrianus" arrian" ١٧٥م"، وقد ألف كتبًا عديدة. منهاكتابه "anabasis Alexander the great" في خمسة عشر قسمًا، وصف في سبعة منها حملات الإسكندر الكبير، وفي الثمانية الأخرى وصف الهند وأحوال الهنود ورحلة القائد "nearchus" "نيرخس" "أميرال الإسكندر في الخليج العرابي، ومنهم "هيروديان" "herodianus ١٦٥- ٢٥٠" ب. م"، وهو مؤرخ سرياني ألف في اليونانية كتابًا في تأريخ قياصرة الروم من وفاة القيصر "ماركوس أوربليوس" إلى سنة ٢٣٨م .

الموارد النصرانية:

وللمواد النصرانية أهمية كبيرة في تدوين تأريخ انتشار النصرانية في بلاد العرب وتاريخ القبائل العربية، وعلاقات العرب باليونان والفرس، وقد كُتب أغلبها باليونانية والسريانية. ولها في نظري قيمة تأريخية مهمة؛ لأنها عند عرضها للحوادث تربطها بتأريخ ثابت معين، مثل المجامع الكنيسية، أو تواريخ القديسين، والحروب وأوقاتها في الغالب مضبوطة مثبتة،ومن أشهر هذه الموارد مؤلفات المؤرخ الشهير" أوبسبيوس" المعروف بـ"أوبسبيوس القيصري" "٣٤٠ -٢٦٣" "eusebius of caesarea"م "٢٦٥- ٣٤٠" وبـ"أبي التأريخ الكنائسي" "father of ecclesiastical history" وبـ "هيرودتس النصاري"١. وكان على اتصال بكبار رجال الحكومة وبرؤساء الكنيسة؛ فاستطاع بذلك أن يقف على كثيرمن أسرار الدولة وأن يراجع المخطوطات والوثائق الثمينة التي كانت تحويها خزائن الحكومة وخزائن كتب الرؤساء والأغنياء.

وكان قد ألّف كتابًا في التاريخ باللغة اليوناينة، عرف بـ" the chronicon"، حوى بالإضافة إلى التاريخ العام تقاويم وجداول بالحوادث التي حدثت في أيامه،وقد أفاد هذا الكتاب فائدة كبيرة في معرفة تاريخ اليونان والرومان حتى سنة ٣٢٥م، ولم يبقَ من أصله غير قطع صغيرة؛ غير أن له ترجمة باللاتينية عملها "جيروم" "Jerome" وأخرى باللغة الأرمنية، وقد سدّ "جوزيف سكالكر" " joseph scaliger" النقص الذي طرأ على النسخة الأصلية، باستفادته من هاتين الترجمتين،ولهذا الأسقف كتب مهمة أخرى، في مقدمتها كتاب "التاريخ الكنائسي" "ecclesiastical history" وهو في عشر كتب، يبدأ بأيام المسيح، وينتهي بوفاة الإمبراطور "licinius" سنة ٣٢٤م. وقد استقى كتابه هذا من مصادر قديمة، وأورد فيه أمورًا انفرد بها . ومن مؤلفاته: كتاب "شهداء فلسطين" " the martyrs of palastine" تحدث فيه عن تعذيبهم واستشهادهم في أيام "Diocletian" و " -٣٠٣" "maximin ٣١٠م" وكتاب "سيرة قسطنطين" "the life of Constantine"، وكتاب في فلسفة اليونان وديانتهم .

ومن مؤرخي الكنيسة: "athanasius" "حوالي ٢٩٦- ٣٧١"و "gelastius" "حوالي ٣٢٠- ٣٩٤م" أسقف قيصرية، وله تتمة لتاريخ "eusebius". و"روفينوس تيرانيوس" "rufinus tyranius" المتوفى سنة ٤١٠م، وصاحب كتاب "historiae ecclesiaticae" وقد ضمّنه أقسامًا من تاريخ "أوبسبيوس" و "إيرينوس" "٤٤٤" "irenaeusم"، وكان أسقفًا على "صور" "tyre"، وقد كتب مؤلفًا عن مجمع "أفسوس" للنظر في النزاع مع النساطرة، وكان يميل إليهم. والمؤرخ "سقراط" "socrates"، وهو من الفقهاء في الكنيسة، وقد اعتمد في تواريخه على من كتب قبله من المؤرخين، وقد وردت في ثناياها أخبار عن بلاد العرب، والمؤرخ "سوزومينوس" "٤٤٣ -٤٠٠" "sozomenus"، وله كتاب في التأريخ الكنائسي، و "ثيودوريث" "theodoret" المتوفى حوالي سنة ٤٥٧ للميلاد. و "زوسيموس" "zosimus"، وهو مؤرخ يوناني ألّف في تاريخ الإمبراطورية الرومانية -اليونانية؛ فأشار إلى العرب وعلاقاتهم بها. و "شمعون الأرشامسي" "simeon of beit arshamوهو صاحب "رسائل الشهداء الحميريين" التي تبحث في تعذيب ذي نواس للنصارى في نجران، وقد جمع أخبارهم "على ما يدعيه" من بلاط ملك الحيرة أيام أوفده إليه إمبراطور الروم في مهمة رسمية. و"بروكوبيوس" "procopius" من رجال القرن السادس للميلاد، وكان أمين سر القائد "بليزاريوس" "belisarius" أعظم قوّاد "يوسطنيانوس" ، وقد رافقه عدة سنين في بلاد فارس وشمال إفريقية وجزيرة صقلية. ومن مؤلفاته مؤلف في تأريخ زمانه؛ لا سيما حروب "يوسطنيانوس"، وكتاب "de bello persico" وقد وردت فيه أخبار ذات بال بالنسبة لبلاد العرب ،ومن هؤلاء "زكريا" "zacharias"، المتوفى حوالي سنة

٥٦٨م٧. ويوحنا"ملالا" "john malalas" المتوفى سنة ٥٧٨م . و "مينندر" " "menandar protector"" المتوفى حوالي سنة ٥٨٢م . و"يوحنا الأفسي" "john of ephesus" وقد ولد في حوالي سنة ٥٠٥م، وتوفي سنة ٥٨٥م تقريبًا، وله مؤلفات عديدة منها كتابه: "التأريخ الكنائسي" "ecclesiastica historia"، وهو في ثلاثة أقسام يبتدئ بأيام "يوليوس قيصر" وينتهي بسنة ٥٨٥م ، وكتاب "تأريخ القديسين الشرقيين"، وقد فرغ من تأليفه سنة ٥٦٩م ، ومن هؤلاء "إسطيفان البيزنطي" "stephanus byzantinus" المتوفى سنة ٦٠٠م ،و"إيواكريوس" "evagrius" المعروف بـ "scholasticus" أي "المدرسي" المتوفى سنة ٦٠٠م. وهو صاحب كتاب "التأريخ الكنائسي" "historiae ecclesiasticae" في ستة أقسام. يبتدئ بذكر "المجمع الأفسوسي" المنعقد عام ٤٣١م وينتهي بسنة ٥٩٣.وهو من الكتب المهمة؛ لأن مؤلفه لم يكتب عن هوى شأن أكثر مؤرخي الكنيسة. وقد استعان بالنصوص الأصلية وبالكتب المؤلفة سابقًا .

ومن هؤلاء أيضًا "ثيوفليكت" "theophylactus simocatta" المتوفى سنة ٦٤٠م٧ و "ثيوفانس" "theophanes the confessor" المتوفى سنة ٨١٨م٨. و"إيليا النصيبي"٩ " dlijah "elis" of nisibis"، و"ميخائيل السوري"،وفي قائمة المخطوطات السريانية في المتحف البريطاني أسماء مخطوطات تاريخية ودينية أخرى ذات فائدة كبيرة في هذا الباب ، وفي مجموعة الكتابات اليونانية واللاتينية، وفي المجموعات التي تبحث في أعمال القديسين وفي انتشار النصرانية، إشارات مهمة إلى بلاد العرب. وهناك كتاب نشره المستشرق "كارل مولر carl muller" لمؤلف مجهول اسمه "glaucus" يبحث في "آثار بلاد العرب" .

وهناك طائفة من المؤرخين النصارى من روم وسريان عاشوا في أيام الدولة الأموية والدولة العباسية، ألفوا في التاريخ العام وفي تواريخ النصرانية إلى أيامهم، فتحدثوا لذلك عن العرب في الجاهلية وفي الإسلام. ومؤلفات هؤلاء مفيدة من ناحية ورود معارف فيها لا ترد في المؤلفات الإسلامية عن الجاهلية والإسلام، تفيد في سد الثغر في التاريخ الجاهلي وفي الوقوف على النصرانية بين العرب وعلى صلات الروم والفرس بالعرب.

وأكثر الموارد المذكورة هي، ويا للأسف، مخطوطة، مخطوطة، ليس من المتيسر الاستفادة منها، أو مطبوعة ولكنها نادة؛ لأنها طبعت منذ عشرات من السنين فصارت نسخها محدودة معدودة لا توجد إلا في عدد قليل من المكتبات. ثم إنها في اليونانية أو اللاتينية أو السريانية، أي في لغاتها الأصلية، ولهذا صعب على من لا يتقن هذه اللغات الاستفادة منها، ولهذه الأمور ولأمثالها، لم يستفد

منها الراغبون في البحث في التاريخ الجاهلي حتى المستشرقون منهم استفادة واسعة، فحرمنا الوقوف علىأمور كثيرة من أخبار الجاهلية كان في الإمكان الوقوف عليها لو تيسرت لنا هذه الكنوز.